الجذور التاريخية للتعليم في البحرين حتى عام ١٩١٩

ا.م مشتاق طالب الخفاجي
جامعة بابل/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

الباحث حسين نعمة الخفاجي
جامعة بابل/ كلية التربية للعلوم الإنسانية.
Hussein al-Khafaji@yahoo.com

ملخص البحث

يعد التعليم الكتاتيبي في الخليج العربي عموماً، والبحرين خصوصاً البذرة الأولى للتعليم، وعلى الرغم من كونه تعليماً شعبياً وليس رسمياً، ولكنه يدل على اهتمام المجتمع الخليجي والبحريني بالعلم والتعلم. وعند تأسيس الارسالية العربية الامريكية في البحرين ١٨٩٢ كان هدفها الأساسي نشر الديانة المسيحية بين أوساط المجتمع البحريني، فأدركت صعوبة عملها هذا في المنطقة لشدة تمسك سكانها بالدين الإسلامي، الأمر الذي قاد الى مقاومة نشاطها هناك، لذلك مارسوا أنشطة أخرى كان أبرزها الطب والتعليم.

الكلمات المفتاحية: التعليم الكتاتيبي، الارساليات التبشيرية، الخدمات الطبية، خدمات تعليمة.

Abstract

Education is generally Ketatibi in the Persian Gulf, Bahrain, especially the first seed of Education and was educated popularly and officially not, but shows interest in the Gulf and the Bahraini society with science and learning. Upon the establishment of the Arab American Mission in Bahrain in 1892 he was the main objective spread Christianity among the Bahraini society, I realized the difficulty of working in this area for the intensity of its population stuck to the Islamic religion, which the leaders of the resistance activity there, so I practiced other activities.

key words:Koranic education, missionaries, medical services, instruction services.

المقدمة

سنحاول في هذه الدراسة تتبع الجذور التاريخية لنشأة التعليم في البحرين حتى عام ١٩١٩، اذ كان التعليم السائد في تلك المرحلة بمنطقة الخليج العربي عموماً، ومنها البحرين، هو التعليم الديني الكتاتيبي، اذ انتشرت الكتاتيب التي كان يديرها (المطوع) أو (الملە)، وكان الهدف منها توجيه الطفل أخلاقياً وترويضه على الطاعة ، وتحفيظه القرآن الكريم وتعليمه السنة النبوية الشريفة، فضلاً عن الى تعليمه القراءة والكتابة والحساب.

وإلى جانب التعليم الكتاتيبي ظهر التعليم الأجنبي في البحرين، الذي أُسس على يد الإرسالية التبشيرية العربية الأمريكية في عام ١٨٩٢، هذا فضلاً عن تقديم الخدمات الطبية الى المواطنين، وقد اتخذت الارسالية التبشيرية هذين العاملين سلاحاً لنشر الديانة المسيحية في المنطقة.

الجذور التاريخية للتعليم في البحرين حتى عام ١٩١٩

يُعد التعليم أحد الوسائل الناجحة المستخدمة لإحداث تغيرات تكنولوجية واجتماعية في المجتمعات الحديثة، وهو ايضاً أحد الوسائل لتحسين الاتصال بين الناس ليس عن طريق القراءة والكتابة فحسب، بل على مستوى وسائل الإعلام ايضاً، وبذلك يتم تبادل الآراء والمعرفة والتجربة الانسانية. واذا كان التعليم ضرورياً للبلدان المتقدمة بوصفه وسيلة لتطوير المعارف والدراسات الانسانية واغناء للحضارة فإنه أكثر ضرورة للبلدان النامية للإلحاق ببقية دول العالم للإفادة من مزايا الحضارة المعاصرة [١]، وتعد البحرين إحدى تلك الدول النامية التي كان للتعليم فيها دور أساس في النهوض بالواقع العام فيها، وصولاً الى مرحلة اللحاق بركب الدول المتقدمة حالياً.

كما ويعد التعليم اساس الحركة الفكرية والثقافية في البحرين، فعن طريقه برزت الجماعات المثقفة التي باشرت بعمليات الكتابة والتأليف، ويعود الفضل الأول للتعليم في كل ما حدث من نتاجات فكرية متنوعة منذ بزوغ فجر الطباعة والصحافة ونشوء المكتبات العامة وكل ما يمت بصلة الى اي عمل ثقافي على امتداد تاريخ البحرين الحديث [٢].

ويمكن تمييز نمطين من التعليم في البحرين قبل عام ١٩١٩ هما:

أ ـ التعليم الديني الكتاتيبي.

ب ـ الارسالية التبشيرية الامريكية العربية.

وإلقاء الضوء على هذين النمطين يمثل رغبةً في إعطاء تجذير تاريخي لتطور التعليم في البحرين في تلك السنوات المبكرة من تاريخها الحديث.

أ –التعليم الديني الكتاتيبي

كان النمط السائد للتعليم في منطقة الخليج العربي هو (التعليم الديني الكتاتيبي) متمثلاً بحفظ القرآن الكريم والسنة النبوية وتعليم القراءة والكتابة عن طريق الملالي والكُتاب الذين قصدهم الأولاد لتلقي الدروس [٣]،وكان من الطبيعي ازدهار هذا النوع من التعليم نتيجة لعوامل دينية وأخرى تتعلق بحاجتها آنذاك لتلبية حاجات المجتمع من القراء والكتاب والمحاسبين والموظفين، وبالفعل نجحت هذه الكتاتيب في إعداد الفرد للحياة طبقاً للمثل الدينية والأخلاقية التي يدعو إليها الإسلام. مما شجع هذه الكتاتيب على الانتشار لاسيما إن الدولة لم تكن الخدمات التعليمية من اختصاصها آنذاك وانما من اختصاص الأفراد والجماعات [٤] .

وكان التعليم في هذه الأماكن مجانياً الا إن الآباء عادةً ما كانوا يسهمون في تقديم الاموال الى(المطوع) او (المُله) الذين كانوا يستلمون كل خميس عن كل تلميذ روبية واحدة فقط ، لذا اخذت تسمى الروبية بـ (الخميسية) نسبة الى يوم الخميس [٥] .

وكان التعليم يتم في بيت المطوع أو في زاوية أحد الحوانيت أو في المسجد وتفرش أرضها بالمديد والحصير ولم تكن الدراسة محددة بزمن بل كانت تعتمد على سرعة الطالب في حفظ القران الكريم[٦]. وكان إنهاء الدراسة لا يناله كل من يدخل المطوع، لأن المطوع لا ينقل التلاميذ من سورةٍ الى أخرى الا بعد أن يجيد قراءتها لذا يظل بعضهم سنواتٍ عديدة حتى يكملوا الدراسة أو يمل المطوع منهم فيصرفهم، وكان بعض الناس يكتفون بتعليم أولادهم في المطوع الآيات الكريمة الضرورية لتأدية الفرائض على اعتبار ان ختمة القرآن تحتاج الى سنوات من الدراسة والنفقات التي تدفع للمطوع والتي لم يكن الكثيرون من الأهالي قادرين على تحملها لسوء حالتهم الاقتصادية[٧] .

وكان المطوع رجلاً كان أم امرأة حافظاً للقرآن الكريم، ويتم التدريس بترديد التلاميذ لما يقوله ألمطوع ويقرؤون بصوت عالٍ على طريقة الانشاد ويحنون أجسامهم للأمام والخلف أثناء القراءة [٨]. والمطوع في الكتاب ذو سلطة مطلقة في كل شيء فمن حقه أن يستخدم الأطفال في شؤون منزله الخاصة وله ان ينزل بمن يريد الوان العقاب [٩].

ولم يكن التعليم التقليدي (الكتاتيبي) مقتصراً على الصبيان فقط بل كانت هناك (المطوعات) أي النسوة المعلمات من أجل تعليم البنات فالتعليم كان للجنسين كل على حدة، وبعد إتمام هذه المرحلة التعليمية تعود الفتيات الى منازلهن إذ لايرين الأماكن التي طفن بها في أثناء مدة الدراسة مرةً ثانيةً إلا بعد الزواج [١٠]، أما الأولاد فكانوا عندما يختمون القران الكريم يتركون المطوع ويبحثون عن عمل يكون في الغالب مشابها لعمل اباءهم . ثم يتعلمون الكتابة لدى بعض الرجال ،

ضمت الارسالية الاميركية العربية كل من: (جيمس كانتن وفيليب فيبس وصموئيل زويمر)[٢٠] بالتعاون مع الدكتور(لأنسنك) استاذ اللغة العربية في معهد اللاهوت في مدينة نيوبرونسوك في ولاية نيوجرسي الامريكية، الذي بذل جهداً كبيراً من اجل اقناعها بالنشاط التبشيري في المناطق العربية باعتبارها أول نشاط لها. وكان اسم الإرسالية الأصلي هو (العجلة) ولكنهم غيروه الى الارسالية العربية تلبية لطلب رسمي مقدم الى هيئة الارسالية الاجنبية التابعة الى كنسية الاصلاح الهولندية في امريكا، والسبب في تغيير الاسم هو للتغلب على الشكوك التي يحملها العرب نحو أنشطة الأجانب وهذه الشكوك كانت طبيعية وخاصةً في ذلك الوقت عندما كان الصراع الأجنبي على أشده في منطقة الخليج العربي بشكل عام، وقد وضعت الخطة الخطوط العامة لنشاط الارسالية في المرحلة المقبلة واختارت الجزيرة العربية هدفا لها[٢١].

وبدأت الارسالية عملها بوصفه مشروعاً مستقلاً لاعتقاد مؤسسيها في بادئ الأمر إنه من الصعب أن يحصلوا على رضا الكنيسة بالعمل، ولكنها في الحقيقة اصبحت بعدها وثيقة الارتباط بالكنيسة الاصلاحية الهولندية الأمريكية تابعة لها لاسيما بعد ان اصبحت هذه الارسالية عضواً رسمياً بالكنيسة منذ عام ١٨٩٤[٢٢].

أدرك أعضاء (الارسالية الامريكية العربية) صعوبة العمل في منطقة الجزيرة العربية، لأنها مهبط الرسالة السماوية، وشدة تمسك سكانها بالدين الاسلامي الأمر الذي سيقود الى مقاومة نشاطها هناك، لذلك كثفوا جهودهم لمعرفة افضل السبل لتسهيل عملهم هناك، وعليه قام (جيمس كانتين) في عام ١٨٨٩ بزيارة بلاد الشام ومنها الى السواحل الجنوبية والشرقية للجزيرة العربية ، ومن بينها البحرين ثم زار البصرة وبغداد ، وفي العام التالي لحقه (صموئيل زويمر) لزيارة مناطق الجزيرة العربية ، فتنقل في العديد من مناطق الخليج العربي وأمضى قرابة عشر سنوات في تلك المناطق التي لم يزرها اي اجنبي من قبل . والف حوالي (سبعة عشر) كتاباً عن شبه الجزيرة العربية، تحدث فيها عن زياراته ومشاهداته هناك، ويعد كتابه(الجزيرة مهد الاسلام) الذي طبع لأول مره عام ١٩٢٠ من أهم تلك المؤلفات[٢٣].

وضَع زويمر تصوره عن كيفية بدء العمل التبشيري في شبه الجزيرة العربية والمناطق المتاخمة لها، فقسمها الى مناطق عديدة، وعَد العمل سهلاً في المناطق الخاضعة للنفوذ البريطاني مثل (عدن وعُمان والكويت والبحرين)، وذلك قياساً بالمناطق الخاضعة للنفوذ العثماني آنذاك التي تسبب المشاكل فيها[٢٤].

وليسَ هناك من شك بأن الدافع الأساس للإرسالية العربية الأمريكية هو التبشير بالنصرانية في شبه الجزيرة العربية وتحويل سكانها الى المسيحية [٢٥]، الا إن زويمر وزملاءِه مارسوا من خلال الإرساليات التبشيرية أنشطة أخرى لا تمثل حقيقة الأهداف التبشيرية الدينية منها أنشطة طبية وتعليمية وتثقيفية وآثاريه وجغرافية، وتنصب تلك الانشطة في هدفين رئيسين هما:

١- اقناع السكان باهتمام المبشرين بتاريخ المنطقة وحضارتها وديانتها، لتجنب رد فعلهم تجاه انشطة المبشرين المشبوهة .
٢- توجيه التعليم التبشيري لمصلحة الفكر الغربي، اذ ادى هؤلاء المبشرين دوراً سياسياً ودينياً الى جانب نشاطاتهم في حقل الآثار والخدمات الطبية [٢٦] .

فالإرسالية كانت تطمح الى نشر الفكر الغربي والثقافة الاجنبية في مجتمع الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية، ونلحظ ذلك من توزيع المطبوعات التي تبث الفكر المسيحي التي بلغت خلال السنوات من (١٨٩٢-١٩٠٥) أكثر من (٤٠٠) مطبوع مسيحي، كان أبرزها (الكتاب المقدس) وذلك بدعم مالي ومعنوي من جمعية (الكتاب المقدس البريطانية ـ الامريكية)[٢٧].